الدين خصومة فقد جعل الدين رأياً ومن جعل الدين رأياً فقد صار شارعاً ومن كان هو يشرع لنفسه الدين فلا دين له

قد يتبع الدين والرأي في الاماكن ولا تشابهها . يحتاج الى الفصل

الكتاب قية !

الخاصة والعامة

قال الراغب : الناس ضربان خاص وعام والخاص من قد تخصص من المعارف بالحقائق دون المقيدات ومن الاعمال ما يتبع به الى جنة المأوى دون ما يختص به على الحياة الدنيا والعام اذا اعتبر بأمور الدين فالذين يرضون من المعارف بالمقيدات ومن اكثر الاعمال ما يؤدي الى منفعة دنيوية واذا اعتبر بأمور الدنيا فالخاص بالشخص بأمور البلد فالعامة من تقلده احدى السياسات المدنية والعامة لا يجوز تقلده شيئاً منها . ومن وجه آخر ثلاثة خاصة وعامة واوساط والاوساط هم المسمون في كلام العرب بالسوقة فالخاص هو الذي يسوس ولا يساس والعام هو الذي يساس ولا يسوس والوسط هو الذي يسوسه من فوقه وهو يسوس من دونه . ومن وجه آخر ثلاثة اضرب اصحاب الشهوات وهمهم المعدة والسباب والاكل والشرب والجمال واصحاب الكرامة والرياسة وهمهم المدح وطلاب الصيت والمحمدة واصحاب الحكمة وكل واحد منهم يستحط من هو من جنسه . قال بعض الحكماء : ما من انسان الا وفيه خلق من اخلاق بعض الحيوانات وبعض النبات لكون الانسان مشاركاً لها في الحسية وان كان مباينا لها في النوعية فمن الناس من هم كالاسد وكالثعلب [illegible] كالكلب وكالذباب وكالحمار [illegible] وكالعنكبوت [illegible] كالاسد والنمر والخنزير [illegible] ويعادي [illegible] ومنهم حسن المنظر [illegible] ومنهم خلاف ذلك كالعقعق والبوم ومنهم قبيح المنظر حسن المخبر كالطاووس والنمر ومنهم حسن المنظر قبيح المخبر كالخطاف [illegible] والمؤمن الحقيقي هو في الحيوانات كالنحل يأخذ اطايب الاشجار ولا يقطع ثمراً ولا يكسر شجراً

(١) دويبة تتخذ بيتاً مربعاً من دقاق العيدان تجمعها مثل غزل العنكبوت وفي الشكل المثلث من سرجة واسعة من خارجه

ولا يؤدي شيئاً ثم يحظى الناس ما يكفل لهم [illegible] ويطيب رائحة وهو في الأقطار كالأرز يطيب حملاً ولو لم يزرعوا [illegible] وذلك [illegible] الشجر هو [illegible] الحيوانات [illegible] والأرضة وفي الأشجار كالكمثرى [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] ليس الأشجار والأثمرة التي [illegible]

هذا ما ذكره الاصفهاني في وصف طبقات الناس وما يرى عليهم من [illegible] من مقادير الله [illegible] ويرى الناظر في هذه الحياة الدنيا من مظاهر الأوهام الكثيرة [illegible] دفع الناس بعضهم عن بعض ولولا ذلك لاختل العالم [illegible] ولكن معظم [illegible] الأوهام في خلال القرون الوسطى [illegible] الاقطاعات و[illegible] الأشراف [illegible] في الغرب أما في الشرق [illegible] البلاد العربية [illegible] الأوهام كانت السلطة على الناس عند الإسلام [illegible] الحكومات [illegible] على العامة [illegible] من [illegible] الطبقة [illegible] استعمال هذه الاستعارات التي [illegible] من [illegible] ولا تزال [illegible] بين الطبقة العليا والسفلى من الفروق ما لا [illegible] الأمم [illegible] والصينيين [illegible] مسافة الخلف بين طبقات الناس [illegible]

[illegible] الغرب [illegible] الطبقة [illegible] عندهم [illegible] تلك السلطة في أول الإصلاح [illegible] الطبقات [illegible] اليوم لم يبلغ هذا التقارب [illegible] الطبقات في [illegible] لهذا الارتقاء.

إذا تقارب الخاصة من العامة [illegible] في النفس [illegible] الطبقات [illegible] العام [illegible] ولا [illegible]

(1) [illegible] الاقطاعات [illegible] في الأرض [illegible] في [illegible] من [illegible] من [illegible] طريقة [illegible]

سواء كل منهم العاملون في الزراعة والصنائع المختلفة والاعمال المصنعة وخاصة ارادوا انتظام وقوتهم بافكارهم وعلومهم في الامم الآخذ من احوالهم . والعاقل يسعى له ان يخلص الاعمال من كل شيء في هذا الوجود ثم الحال باتقانه من حذق ماله ثم كله بعض الضرورات لكان عمله له ولغيره اتم وانفع

مضى العهد الذي كان العلم فيه مقصوراً على اهل طبقة خاصة ككهنة قدماء المصريين واشراف اليونانيين والرومانيين ورجال الاديار والصوامع في القرون الوسطى . ومضى ذاك الزمن وما نظن يعود مثله في البشر بعد ما احدثت حضارة الغرب تعقد الحرارة حتى على النار ويستنير بالتمدن والتوحش بحسب ما يرى من مدنية وبصيرة . طوي ذاك البساط لا بقية حولة ولن يعود الى سالف عهده بعد ان اخذ جمهور كبير من علماء الغرب يخاطبون العامة في مسائلهم بما لا يبعد عن افكارهم ويجمعونهم في مدارس ليلية الموها للعلم من لم يسعده الحظ بالتعليم وبعد ان انشأوا جرائد لهم خاصة ووضعوا المجلات والكتب بالعلوم والافكار الصحيحة والمعارف اللازمة من ايسر الطرق واحصرها وبعد ان فتحوا المعارض والمتاحف ودور التمثيل تكون فيهم مقومات العقول في طرف الثام ويعد كل ما الامه يتعلم من اسباب التعليم المتحيل ان يلقاها ما هم في حقائق الاشياء بعدما لبثوا فيها زمناً طويلاً .

قال سمايلز (١) : لا عبرة للديمقراطية عن حيرة رجال كما لا يسعها الا ان تعلو الذكاء والعلم والفضيلة حتى تدركها . ولا مشاحة في ان الديمقراطية تأتي على الحواجز التي كانت تحول بين الطبقة العالية وجمهور الامة فدكها من اساسها وذلك لان المجتمع يختار كبار الرجال من جمهور اهل البلاد ممن يشتغلون ابداً بين ظهراني عامة الناس ولا يزالون يعملون ويجددون ما يصدر اليهم من حركة الحياة والنشاط ووعي بها الخواص العامة اعترف ان اثبت الرجال واحسنوا على الاخلاق ابناء طبقتهم مختفرين ما عداها على التسيس بالقعدة على امرهم بالفشل . ليس الشعب هو الجمهور بل هو الامة وهو الحاكم المفكر . والفكر لا يكون الا مجردات ونظريات اذا لم يكن له كيان وحقيقة بارزة في ابناء الامة وارادتهم . وعلى الطبقة الخاصة من الناس وهي في الاصل مرجعها الامة والعلى الوجاهة منهم ان يكون على اتصال بالشعب وعليها ان تعمل في الطبقة التالية لها به وتشركه في معرفة الحقيقة السامية التي تجمع لاموسها الارادات مختارة وعلى النوع من

(١) كتاب التربية او الثورة الديمقراطية لسمايلز يطلب من مكتبة ارمان كولن بباريس
... Éducation ou Révolution ... librairie Armand Colin. paris

يخالف منهم المجتمع الديمقراطي ان يشتركوا بالحياة العقلية لانهم كلهم يشتركون في الحياة الوطنية اه

ولقد وقر في النفوس عندنا زمناً طويلاً ان اجتماعهم بالعامة يعد منقصة واضعة ولذلك كانوا ما كثر من يتطالبون الى الشبه بهم من اهل الطبقة الوسطى في العقول يشمئزون من الاختلاط بمرطبقتهم كأن العلم برعمهم يفسد اذا ألقي على من ينتفع به او انه تذهب بركته ويزول بهاؤه ورواؤه وقد كان هذا الخلق يقوى في الشرق على عهد ضعف الوازعين الديني والسياسي واختلال التربيتين البيتية والمدرسية

وما عالس الوعظ ايام الحضارة الاسلامية الا من بركات تلك العقول الكبيرة والتربية الراقية فكنت ترى امثال الحسن البصري والفخر الرازي وابن الجوزي ومئات غيرهم في المساجد والمنابر يعظون العامة ويعلمونهم ما حرموا منه فيما ينفعهم في دينهم ودنياهم . بدأ ذلك على عهد الخليفة الرابع فكان يأتي بواعظ العامة ويسأله هل رآه متمكناً من العلم بحيث لا يضل الناس بكلامه اذن له بالوعظ والا منعه وما كان حملة العلم يستنكفون من تعليم العامة كما كانوا يعلمون الخاصة

والظاهر ان ما كانوا يلقونه على مسامع جمهور الناس من انواع العلوم لم يكن في صعوبته الذي يلقونه على خواصهم ولذلك قلما كان يتأتى البحث بجهل العامة في القرون الستة الاولى للاسلام فرواص الخير والسلامة من اكثر خاصة العصور المتأخرة ممن حببوا الدين حباً الى الدنيا وقصور العلم للجاهل ، ومقادير الخاصة والعامة في كل امة نسبية في العالم فقد يكون رجل من طبقة الخواص في امة فاذا قيس بغيرها من الامم الراقية لا تعدله الا بمنزلة العوام .

قال الاصفهاني : لا شيء اوجب على السلطان من مراعاة المتصدين للرياسة بالعلم فمن الاخلال بها ينتشر الشر وتكثر الاشرار ويقع بين الناس التباغض والتنافر وذلك ان السواس اربعة الانبياء وحكمهم على الخاصة والعامة ظاهرهم و باطنهم والولاة وحكمهم على ظاهر الخاصة والعامة دون باطنهم والحكماء وحكمهم على باطن الخاصة والوعظة وحكمهم على باطن العامة وصلاح العالم بمراعاة امر هذه السياسات لتخدم العامة الخاصة وتسوس الخاصة العامة وفساده في عكس ذلك ولما تركت مراعاة المتصدي للحكمة والوعظ ترشح قوم للزعامة بالعلم من غير استحقاق منهم لما احدثوا بجهلهم بدعاً استغووا بها العامة واستجلبوا بها منفعة ورياسة فوجدوا من العامة مساعدة لما كانت بينهم وقرب جوهرهم منهم .

فكل قرين الى شكله كأنس الخنافس بالعقرب

ويحفظوا بذلك طرقاً مستقلة ويرسموا بها شعوراً مميزاً وطابعاً مميزاً للخاصة، ويضعوا إليها الواضحة وربما فيهم من الشعراء والعلماء وكبار رجال الفضل والمناصب ومقاربة تكاليفهم وعرفوا بهم. فتابعهم على خطاهم وقلدوهم وأتلفوهم بذلك من الثناء والجور العام له.

ولقد كان من دروس الوعظ أو القصاصين كما كان يعقدون فيها الرحالة في بعض البلاد الإسلامية ولكن عمرها يوم من عمرها لأن من يطلب المعرفة في الأكثر مبلغ الوعاظ والقصاص ومعظم من لم يوافق أن يحضروا فراحوا إلى قلة علمهم ومنهم يدعون إلى الخرافات في الأغلب ويشبعون الكلام في الوعظ في البدع ولا أقل من الإيمان والدين وأكثر عدد الجمع من هذا القبيل لا في أقل وأكثر. أما الخاصة الحقيقيون في الأمة فقد اضطرتهم الفوضى في العلم والقضاء إلى أن يجمعوا في بيوتهم ويكونوا مجالسها واقتصروا اليوم من تعليم العامة على من يقصدون بهم من العلم والعامة ومجالسهم والعشرة لعلوم جرايتها.

فهم من تعليم العامة عندنا ليس الأمر الحديث كما هو في الغرب ولكن أصوله ثابت بين الخيرة ومن أهل … عندهم شأن الأمم الراقية والمراقبة عليه بأحوالها كلها في حال وجوه أهلها وكلها تلك في كل شيء حتى مواطنها وشروطها. ولا نقصد بتعليم العامة أن نعلم ما يعلمه … من أمور الخاص ولكننا نقصد أن يعرفوا كافة … الأمان القواعد الأساسية القليلة يستفيد منها الكثيرون … ويكونوا … على نافع لا يجتثه في سبيل كل مشروع ينهضون إلا بحسب معقول ويكونون كذلك.

ويحد أن يعلم العامة القراءة والكتابة البسيطة ومبادئ التاريخ والجغرافيا والحساب والاقتصاد والصحة والدين القليل وشيئاً من آداب الدين التي لا تخلو من التعليم وعلمه يشاركون الخاصة في العمر … في معظم مسائل الوجود في عصرهم … من الفائدة الخاصة ما لا ينكره عاقل ويكون لديهم لا يعتقدون غرابة كل من … أمر … قوم في الأرض والعرف ولهذا كان لا يعدون فيها من ينتهز منهم … وتقديرهم عندهم في الحياة. هذه الطبقة من العامة إذا كانت في الشرق العربي مثلاً تكون منه أنقص مما هي عليه في الإنكليز ولهذا نرى الشعوب … إلى حضرة الأمريكيين … ولا سيما في المدن المصرية حيث لا تطلع … إلا في الأمور البسيطة من المعاش وأن من تشاركهم في الشؤون العامة.

قال الجاحظ أقول العرب فلا … يقدر على ذلك ولأن بعض الناس إذا رأى صاحبه قد صنع خيراً أتشبه به ذلك الناس والآخر … إلى الناس

بعض الناس بعض كأنه قال انا يتعايشون في خنادق الانس الذي بينهم ولو عمتهم الوحشة [illegible] املكة.

واذا لم يتيسر لبلادنا الآن ان تؤسس لها مجامع ومدارس لهذا الضرب من التعليم فما احرى كل من رُزق علماً خرج به عن العامية ان يجمع حوله طائفة من اهله وجيرانه ويرشدهم ويطلعهم بحسب ما يعرف وبحسب قدر افكارهم [illegible] في كتاب ولا [illegible] لبلادنا احد [illegible] العامة ويصحح الافكار مثل الشيخ طاهر الجزائري [illegible] الذي [illegible] اثره في كل قطر عربي وقد انتبه بعض علماء فارس لهذه [illegible] ولا [illegible] العهد الاخير يحدثون العامة [illegible] على حسب عقولهم [illegible] عشر رجلاً [illegible] السيد جمال الدين [illegible] في هذا الموضوع لا [illegible] في [illegible] لابيس [illegible] وغيرها من فلاسفة فرنسا المعاصرين ممن لا يرون حطة في اقدارهم ان ينزلوا لتعليم العامة لاختيارهم [illegible] محمد [illegible] قواعد [illegible] في الانسان.

[illegible] كتب [illegible] العامة [illegible] من [illegible] ومدارس ليلية [illegible] والبنات والنسوان ومدارس [illegible] في كل مدينة [illegible] لامكنا ان ندعي [illegible] في [illegible] المعقول من [illegible].

الرياضة المعقولة

[illegible] الرياضية في هذه البلاد [illegible] الرياضي حتى [illegible] اليومية [illegible] منقصة [illegible] كالمشي [illegible] الرياضية [illegible] بالرياضة [illegible]

[illegible]